الوحدة الثالثة: نقد الشعر :أرسطو.

إن أفكار أرسطو في كتابه "فن الشعر" كانت ردا على آراء أستاذه أفلاطون الذي وافقه في بعضها وخالفه في أخرى، ومن القضايا التي اختلفا حولها بعض الآراء المتعلقة بنقد الشعر، كالمحاكاة ووظيفة الشعر وأهميته...إ لخ. فما هو رأي أرسطو في المحاكاة؟ وما هو موقفه من الشعر؟ وما هو مصدره ووظيفته؟

1-مفهوم المحاكاة وأنواعها عند أرسطو:

أ- مفهومها

لم يرد تعريف دقيق للمحاكاة عند أرسطو، هذا ما جعل هذا المصطلح يقبل عليه الدارسون محاولين فهمه وتأويله، وهذا بطبيعته خلق كثيرا من التباين في فهم هذا المصطلح.

وعلى العموم، المحاكاة هي أهم وأكبر نظرية عرضها أرسطو في كتابه "فن الشعر" وهي الأساس والجوهر الذي ينطلق منه الإبداع الشعري؛ لذلك نظرية المحاكاة ارتبطت بأرسطو أكثر من ارتباطها بأفلاطون، وذلك لأهمية المبادئ النظرية التي أرساها في كتابه "الشعر"[1].

استخدم أرسطو المصطلح ذاته (المحاكاة) الذي استخدمه أفلاطون، لكنه أعطاه مفهوما مختلفا عن مفهوم أفلاطون الذي اعتبر الشعر محاكاة المحاكاة، وبالتالي فهو صورة مزيفة ومشوهة عن عالم المثل، كما أنه عمم مفهوم المحاكاة على كل شيء في الواقع وفي العالم الطبيعي، في حين أرسطو قصر المحاكاة على الفنون، كما رفض رأي أستاذه القائل بأن المحاكاة نقل حرفي ومرآويّ ؛ أي أنه نفى أن تكون فعلا آليا واعتبرها خلقا وإبداعا.

ب-أنواع المحاكاة:

جعل أرسطو المحاكاة ثلاثة أنواع:

1. صنف يحاكي الأشياء كما هي في الواقع، وهذا الصنف يطلق عليه أرسطو المحاكاة البسيطة.
2. صنف يحاكي الأشياء كما تبدو وكما يراها الناس ولو كانت هذه الأشياء مستحيلة.

[1] : شكري عزيز الماضي، في نظرية الأدب، ص31.

3. صنف ثالث يحاكي مبادئ الأشياء كما يجب أن تكون في ذاتها، وهنا يستخدم الفنان خياله وقدرته الإبداعية ليعطيها صفات الكمال، ويجعلها مثلا أعلى يحتذى به[1].

اعتبر أرسطو أن الشعر هو الذي يترك انطباعا وتأثيرا عميقا في نفوس الآخرين فعلى الشاعر أن يكون ذا قدرة وبراعة على تصوير الحقيقة وتجسيم الممكن والمحتمل وما لا يتوقع حصوله، فهو مخترع وصانع ببراعته الفنية.

وقد خص أرسطو التراجيديا بمكانة مرموقة حتى أنه جعلها أقدر الأنواع على تحقيق التوازن الطبيعي للإنسان[2]. لذلك أعطاها بعدا وظيفيا فعالا.

2- مصدر الشعر عند أرسطو:

إذا كان أفلاطون قد أرجع الشعر إلى قوى خفية ميتافيزيقية خارجة عن الطبيعة الإنسانية عندما اعتبره وحيا وإلهاما، وعندما صادر الاستعدادات والمواهب الموجودة عند الإنسان فإن أرسطو جعله جزءا من النشاط الإنساني في ظل غريزة المحاكاة، فما يولد الشعر هو غريزة المحاكاة وغريزة حب الوزن والإيقاع. فالإنسان كما نعلم مفطور على حب النغم والموسيقى، وعلى المحاكاة فهي بدورها غريزة توجد عند الإنسان منذ الصغر، وبها يحصّل معارفه. وعليه فالمحاكاة وسيلة للتعلم واكتساب المعارف، واكتساب المعرفة بدوره يؤدي إلى المتعة، وبما أن الشعر وجه من أوجه المحاكاة فلا بد أن يكون بدوره محققا للتعلم ومحققا للمتعة[3].

لكن السؤال الذي يطرح نفسه إذا كانت المحاكاة غريزة إنسانية توجد عند الإنسان منذ صغره، فما الذي يجعل شخصا معيّنا شاعرا دون غيره؟

يجيبنا أرسطو بأن الإنسان أقدر وأكفأ على المحاكاة من المخلوقات الأخرى، إضافة إلى أن الشاعر ينمي ويطور ملكة المحاكاة من خلال الدربة والممارسة ويقوم بترقية المحاكاة بالتدريج حتى تتولد عنده الأقاويل الشعرية[4].

3-الخيال:

دافع أرسطو عن الخيال واعتبره قوة من قوى الكائن البشري، وملكة من بين الملكات الإنسانية الأخرى وأقواها، وهو شرط أساسي وقبلي لحصول المعرفة المنظمة.

---

[1] : أحمد زيغمى، رندة مراح، الشعر وفلسفته عند أرسطو، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، ص153.

[2] : المرجع نفسه، ص154.

[3] :ينظر، شكري عزيز الماضي، في نظرية الأدب، ص ص39.40.

[4] ينظر، المصدر نفسه، ص40.

واعتبر أرسطو الخيال حركة يسببها الإحساس بحيث لا يتأتى للخيال أن يوجد بدونه، وهما أي الإحساس والخيال مختلفان، ومتى لم يوجد الخيال والإحساس لم يتأتّ وجود التصور conception وليس الخيال والتصور بمتطابقين[1].

وقد اختلف الدارسون حول موقف أرسطو من الخيال، ففئة ترى أن أرسطو لا يقول باستقلال القوة الخيالية، وهذا رأي كثير من الباحثين ورأي أستاذه أفلاطون أيضا، وفئة أخرى تقول أن أرسطو يعتبر الخيال قوة مستقلة عن باقي القوى، كاستقلال قوة البصر عن قوة السمع، وهذا ما ذهبت إليه الأبحاث المعاصرة، وعليه يصبح أرسطو ممهدا لنظرية الخيال المستقل[2].

4-وظيفة الشعر:

عمل أرسطو على رصد الآثار التي تتركها الأعمال الأدبية في نفسية المتلقي ليس لحظة تلقيهم الأثر الأدبي، بل على مستوى الأمد البعيد، أي بعد التلقي، وقد قام بدراسة عينة وصفية وتوصّل إلى أن ما يقدّمه الأدب للمتلقي هو متعة مقرونة بالفائدة. ويكون ذلك عن طريق التطهير، فما هو التطهير؟

يذهب أرسطو إلى أن التراجيديا تنمّي وتعزز عاطفتي الشفقة والخوف، لكنها تجعل المشاهدين أكثر قوة من خلال التطهير، فالشخص يشعر أيضا وهو يتفرج على مسرحية تراجيدية، يشعر بالشفقة والخوف؛ إذ يشفق على البطل ويتعاطف معه لأن ما حدث للبطل قد يحدث له، ومن الشفقة والخوف يتطهر المشاهد[3].

إضافة إلى ذلك فإن التراجيديا تجعل الإنسان أكثر سرورا لأنها تريه العذاب دون أن يتعذّب أو يتذوقه، كما تشعره بالتفوّق إزاء الشخصية التراجيدية التي تتألم، وفي نهاية المسرحية يشعر بالسرور خاصة عند مقارنة همومه و عذاباته بهموم الآخرين، فيشعر بالارتياح والقوة خاصة عندما يدرك أن همومه ومصائبه هيّنة بالنظر إلى ما يحدث لشخصيات التراجيديا، وبالتالي يصبح اكثر قوة وقدرة على التصدي لها.

وفي الملهاة أيضا يقوم الإنسان بتطهير ذاته لكنه تطهير ممن نوع آخر، يجعل المتفرج ينزع إلى الهدوء والاستسلام، فأرسطو يرى أن الإنسان يكون في الحالات المضادة للغضب مثل حالة اللعب والضحك، وهذا نوع من التطهير وهو مداواة الشر بضده[4].

---

[1] : عاطف جودة نصر،الخيال مفهوماته ووظائفه، الهيئة العامة للكتاب، 1984، ص11.

[2] : ينظر، محمد مفتاح، مشكاة المفاهيم، ص ص15،14.

[3] :ينظر، شكري عزيز الماضي، في نظرية الأدب، ص42.

[4] محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، ص87.

لماذا نظرية التطهير عند أرسطو؟ وما الغاية المرجوّة منها؟ ما الفائدة التي تحققها للمتلقي؟

إن عملية التطهير عند أرسطو (catharsis) عملية يراها ضرورية جدا للمحافظة على لياقة النفس، فالنفس الإنسانية مزدحمة بالغرائز والشهوات التي كبحتها تفاصيل الحياة الاجتماعية المرهقة، وكل غريزة ستتحوّل إلى قوة مدّمرة، لذا وجب احتواء تلك القوى المكبوتة ومعالجتها من خلال الأعمال المسرحية التي تصبح مشفطا يمتص كل المكبوتات ثم يلفظها خارج نفسية المشاهد[1].

إضافة إلى هذا التطهير يؤدي إلى التوازن النفسي الانفعالي والوجداني، وهذا بدوره يؤدي إلى ضبط النفس والابتعاد عن الانحراف ومن ثم يحصل التوازن الأخلاقي، وبهذا فإن أرسطو يؤكد على أن الشعر ينهض بوظيفة أخلاقية، فيعارض أستاذه أفلاطون القائل بأن الشعر مفسد للأخلاق[2] .

5-الشعر والفلسفة:

كان أفلاطون يقر بوجود صراع بين الفلسفة والشعر، وانحاز بشكل بيّن للفلسفة على حساب الشعر، وقد حاول أرسطو أن يرد على أستاذه وينفي هذا الصراع الذي يفتعله أفلاطون، فبيّن الطبيعة الفلسفية للشعر قائلا: "وظاهر مما قيل أن عمل الشاعر ليس رواية ما وقع، بل ما يجوز وقوعه...فإن المؤرخ والشاعر لا يختلفان بأن ما يرويانه منظوم أو منثور...بل هما يختلفان بأن أحدهما يروي ما وقع على حين أن الآخر يروي ما يجوز وقوعه، ومن هنا كان الشعر أقرب إلى الفلسفة وأسمى مرتبة من التاريخ لأن الشعر أميل إلى قول الكليات على حين أن التاريخ أميل إلى قول الجزئيات"[3].

بهذا يمنح أرسطو مرتبة عالية للشعر ويعيد له الاعتبار ويذهب مذهبا مخالفا وينفي عنه التهم الموجهة له من طرف أفلاطون، إذ جعل مرتبته تتجاوز التاريخ وتضاهي الفلسفة.

---

[1] : ينظر، أحمد زيغمي، رندة مراح، الشعر وفلسفته عند أرسطو، ص154.

[2] ينظر، شكري عزيز الماضي، في نظرية الأدب، ص43.

[3] ينظر، المصدر نفسه ، ص ص37،38.